الاقتراض البذخي في اللغة العربية وأثره في الخطاب التربوي

Lavish Borrowing in the Arabic Language and its Effect on the Educational Discourse

أ. المهدي حاجي

المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات – جامعة قفصة (تونس)

mahdi.hajji21@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/08/17 **تاريخ القبول: 2020/09/04**

ملخص:

نعرض في هذه الورقة العلمية ظاهرة الاقتراض البذخي (lavish borrowing) التي تعرف في الحقل المعجمي (lexical field) بالاقتراض المعجمي (Lexical borrowing) الناتج عن الترف والبذخ اللغوي والذي يزيد عن الحاجة والضرورة، محاولين في ذلك تتبّع الأسباب التي تقف وراء تناميها في الأوساط التعليمية والتربوية دون أن نغفل في ذلك عن رصد مظاهر البذخ فيها ومحاولة تبيّن تجلياتها اللّغوية والتركيبيّة، وذكر تأثيراتها المعجمية في اللّغة العربية وفي الخطاب التربوي (eductional speech) وتبيّن تأثيرات عوامل الإعلام والهيمنة الثقافية والسياسيّة في تنامي هكذا ظواهر معجميّة في الخطاب التربوي وتطوّرها معجميا ولغويا.

الكلمات المفتاحيّة: الاقتراض المعجمي، الاقتراض البذخي، الحقل المعجمي، الخطاب التربوي.

Abstract:

The following paper tends to relate excessive lexical borrowing seen as Lavish and luxurious and being more than necessity. . We try to trace the causes behind its spreading pointing to its linguistic presence in educational discourse and lexis and list the impacts of information means, political and cultural hegemony in the manifestation of this lexical phenomenon and its linguistic development in educational discourse..

Keywords: Lavich borrowing , Lexical borrowing, Need borrowing, Lexical field, educational discourse

مقدّمة:

نعرض في هذه الورقة العلميّة إلى ظاهرة الاقتراض البذخي (borrowing Lavish) التي تعرف في البحوث المعجميّة بالاقتراض الناتج عن التّرف والبذخ اللغوي، والذي يزيد عن الحاجة والضرورة، محاولين في ذلك تتبّع أسباب تناميها في الخطاب التربوي، دون أن نغفل في ذلك عن رصد مظاهر البذخ فيها وتفهّم تجلّياتها اللّغوية والتركيبيّة، وتعرّف تأثيراتها اللّغويّة في المتداول اللّغوي التّعليمي وتبيّن تأثيرات عوامل الإعلام والسّياسة والثّقافة وغيرها في تنامي هذه الظواهر المعجميّة وتطوّرها داخل الفضاء التربوي.

فمعالجة ظاهرة الاقتراض البذخي في اللّغة العربية وبحث تأثيرها في الخطاب التربوي (educational speech) تفرض علينا لزاما التّساؤل عن مصادر هذا الصنف من الاقتراض ومظاهره اللغوية المختلفة، وتحتّم علينا البحث في مستويات حضوره والسؤال عنه بتتبّع مظاهره اللغوية والتركيبيّة والنظر في مقابلها العربي، وهو ما يفرض علينا أيضا النّظر في الأسباب الكامنة وراء تنامي هذه الظاهرة المعجمية في لغة ثرية كاللّغة العربية، ويدعونا إلى التّساؤل عن دواعي حضور مقترضات غير ضرورية في الخطاب التربوي العربي الراهن وتناميها على نحو بات يثير فينا رغبة البحث في تأثيراتها اللّغوية والتربوية أساسا والتّساؤل عن انعكاساتها وأثرها في الفرد المتعلّم والفضاء المدرسي، ليكون سؤالنا بذلك عن الحلول التربويّة والبدائل البيداغوجيّة والتعليميّة التي من الممكن أن تحول دون تفشي هذه الظاهرة في الخطاب التربوي العربي مستقبلا.

ولعل محاولة فهم ظاهرة الاقتراض البذخي والتّطرق إلى مظاهرها في الخطاب التربوي ورصد أسبابها وفهم تأثيراتها، هي الغاية التي تشدّنا في هذه الورقة العلميّة وتدعونا إلى اعتماد منهج الملاحظة والاستقراء والتحليل والاستنتاج لنصل في النهاية إلى تبيّن حلول وبدائل قد تفيدنا في المستوى التربوي ونحن لزاما علينا أن نقترض من لغات أخرى وندع لساننا العربي يحتكّ بها لضرورات أملتها علينا روح العصر الراهن ودعتنا إلى الأخذ بها والسّير على خطاها.

لذلك كان أن قدّرنا تحليل ظاهرة الاقتراض البذخي في محاور أساسية، فقد رأينا أن نتناول في المحور الأوّل ظاهرة الاقتراض البذخي ونعرض إليها انطلاقا من النظر في ظاهرة الاقتراض المعجمي ككل، ثم نعالج في المحور الثّاني من عملنا أسباب هذا التّرف اللّغوي في اللّغة العربية ونبحث في مظاهره لنعرض إثر ذلك إلى تأثيراته في المستوى التربوي ونطرح أثره في الفرد المتعلّم والمجتمع المنتمي إليه ونختم بحثنا بعرض أسباب تنامي هذه الظاهرة في الخطاب التربوي، دون أن نغفل أثناء ذلك عن تقديم بدائل وحلول نقدّر كونها قد تكون مفيدة لنا في الفضاء التربوي وتزيد لغتنا تحصينا وتقيها من الشوائب اللّغوية وتثريها.

ونحن نروم الخوض في مبحث الاقتراض البذخي وتأثيراته في المستوى التربوي قدّرنا أن نعتمد على مراجع معجميّة ولسانيّة، فاخترنا من المعاجم العربيّة ما يخدم مسعانا، واعتمدنا منها معجم المعاني الجامع، ثم استندنا إلى مجموعة من المقالات والنّدوات التي اهتمت بظواهر الاقتراض، فكان أن استندنا إلى مقال إبراهيم بن مراد الصادر عن مجلة المعجميّة سنة ألفين وواحد بعنوان "المقولة الدّلاليّة في المعجم"، ومقال جودي مرداسي الصادر عن مجلة الذّاكرة العدد الخامس بعنوان"آليات توليد المصطلح" ...إلخ، أمّا بالنسبة إلى المراجع الأجنبيّة فقد وظّفنا لإنجاز هذه الورقة العلميّة مجموعة من المراجع على غرار كتاب مورو (Moreau) «sociolinguistique, concepts de base» وكتاب الطيب البكوش (Taib baccouche) (l'emprunts en arabe moderne)...إلخ.

لكن ما يمكن الإشارة إليه في سياق تقديمنا لهذه الورقة العلميّة أنّنا ونحن نخوض في ظاهرة الاقتراض البذخي ونبحث في أثرها في اللّغة العربية وفي المستوى التربوي، قد واجهنا جملة من الصعوبات البحثيّة، لعلّ أبرزها ندرة المادة المقدّمة في شأن هذه الظاهرة المعجمية رغم كثرة الكتب والمقالات التي عرضت لظاهرة الاقتراض المعجمي (lexical borrowing) وقدّمت قراءات من شأنها أن تسهم في مدّ المهتمّ بالشّأن المعجمي بمجموعة من المواقف والآراء التي تتّصل بأسباب الاقتراض اللّغوي وتبحث في مظاهره وتعرض إلى أنواعه وتدرس مستوياته اللّغويّة.

لذلك سيكون اهتمامنا في هذه الورقة العلميّة بظاهرة الاقتراض البذخي، لعلّنا نسهم في تحليلها وتفكيكها وتقديمها بشكل يخدم البحوث المعجميّة ويثريها، ويحرّر خطاباتنا التربوية من هكذا شوائب لغويّة.

1- في ظاهرة الاقتراض المعجمي:

نستقرئ المنجز اللّغوي العربي فنلحظ توفّر اللغة العربية على آليات توليد معجميّة مختلفة نحو الترجمة والاشتقاق والنحت والاقتراض وغيره، وهو ما قد يدفعنا إلى الإطناب خلال البحث فيها، ويحول دون خوضنا في مسألة الاقتراض البذخي.

لذلك اخترنا أن نقصر اهتمامنا في هذه الورقة العلمية في ظاهرة الاقتراض البذخي دون أن نغفل ربطها بظاهرة الاقتراض الضروري أو اقتراض الحاجة (Need borrowing) لضرورة منهجيّة، تقتضي الخوض في ما هو غير ضروري انطلاقا ممّا هو ضروري، قد أملته الحاجة اللّغوية واقتضته الزاميّة سدّ خانة معجميّة فارغة بعبارة فتحي جميل[1]، وفرضته استجابة لحاجة اصطلاحيّة وضرورة علميّة ملحّة.

بهذا المعنى أمكننا أن نقول، إنّ اقتراض الحاجة فيما اطلعنا عليه يعبّر عن رغبة علماء المعجم في مسايرة روح العصر ومواكبة المفاهيم والمصطلحات المستحدثة في المجالات العلميّة المختلفة، وهو في المعجم العربي وغيره من المعاجم قاعدة من قواعد التوليد في المعجم وله دور في تطوّر اللّغة والمعجم[2]، فالاقتراض المعجمي عند المتكلّم "من أيسر قواعد التوليد استعمالا وخاصّة في البيئات المتاخمة اللّغات، يحلّ معضلة التواصل مع الواقع والتأثير فيه إمّا اضطرارا وإمّا بحثا عن تعبيرية ينشدها في تقليد نماذج أخرى"[3].

وهذا في اعتقادنا يفسّر كون الاقتراض عمليّة معجميّة تحدث في لغة من اللّغات إمّا اضطرارا لحاجة عند مستعمل اللّفظ المقترض في مجال من المجالات أو افتخارا وتقليدا لذلك رأينا أنّ الاقتراض في اللّغة قد توزع إلى صنفين، الأوّل ضروري لحاجة ماسّة والثاني بذخي لترف لغوي ومحاكاة وتقليد. يقول الحبيب النصراوي: "لهذا يصنّف الدّارسون الاقتراض بمفهومه العام إلى صنفين: أحدهما إبلاغي (dénnotatif) ويتعلّق بتسميّة الأشياء

والمفاهيم التي تظهر في بلدان أجنبية، وآخر إيحائي (connotatif) وهو غير ضروري يرجع إلى رغبة المتكلّم في التّأقلم مع واقع المجتمعات الرّاقية ومفاهيمها المهيمنة حضاريا"[4]. وهو ما يعني في تفسيرنا أنّ ظاهرة الاقتراض البذخي غير ضرورية، فالفرد في تقديرنا لذلك مثلما يفرط في أكله ولباسه قد يفرط في كلامه ولغته ليفتخر ويعبّر عن الرّفاهيّة والتّرف والتّطاول ويحقّق ظاهرة الاقتراض البذخي أو المفرط والكثير[5].

لذلك سنحاول خلال العنصر اللاحق الذي رأينا تسميّته بمظاهر الاقتراض البذخي أن نرصد مظاهر الاقتراض البذخي ونلاحظ مظاهر الافتخار والترف في المفردات المقترضة في المستوى التربوي دون حاجة إليها.

2- مظاهر الاقتراض البذخي:

نتتبّع ظاهرة الاقتراض البذخي فنلحظ دخولها بمفرداتها وتراكيبها في جميع المستويات التربوية والإعلامية والثقافيّة وغيرها، وهو ما يجعل من محاولة حصر مظاهرها المعجمية أمرا عسيرا، لذلك سنحاول ونحن نعرض إليها أن نحصر اهتمامنا في رصد مفرداتها وتراكيبها في الخطاب التربوي دون سواه، محاولين في ذلك أن نبرز تأثير ظواهر هذا الترف اللّغوي في خطاب المعلّمين والمتعلّمين داخل الأطر التربوية العربيّة.

2 -1/ اقتراض المفردات والعبارات:

لعلّ أوّل ما يشدّنا خلال بحثنا في أثر ظاهرة الاقتراض البذخي في اللّغة العربية في الخطاب التربوي، هو زخم حضور المفردات المقترضة من اللّغات الأجنبية على غرار الفرنسية والأنقليزية، لذلك سنعمل في هذا العنصر على رصد بعض هذه المقترضات على وجه البذخ والتّرف لا غير محاولين في ذلك عرض مقابلها الصّحيح في اللّغة العربية، وتبيّن تأثيراته اللّغوية في الخطاب التربوي العربي، لنحلّل في عناصر لاحقة تأثيرات اقتراضها في المستوى التّربوي.

فالمفردات المقترضة على سبيل البذخ لا الحاجة لاحظنا من خلال استقرائنا للخطاب التربوي أنّها تغزو اللّغة العربية بشكل لافت، إذ أنّ تتبّعنا للمتداول اللّغوي التربوي في جميع مستوياته وبين كلّ أطرافه يبرز لنا تواتر مثل هذه العبارات وحضورها المكثّف، وهو ما يعني

في اعتقادنا أنّ اللّغة العربية في المحيط التعليمي للمتعلّمين (تلامذة أو متعلّمين) تعيش في صراع مرير ودائم مع اللّغات المقرضة (الفرنسية والأنقليزية أساسا) لغات التّعليم المفروضة وتعاني من تداخل بغيض ومتواصل مع هذه اللّغات، فقد لاحظنا مثلا أنّ العربية تتداخل مع الفرنسية في بلدان المغرب العربي ثمّ الأنقليزية وتتداخل في المشرق مع الأنقليزية ثمّ الفرنسية[6]

فمثلا وجدنا أنّ اللّغة العربية في تونس تتشابه مع اللّغة العربية في كافة الأقطار العربية الأخرى، وذلك في نوعية المقترضات البذخيّة وفي الأخذ من الفرنسية والأنقليزية. يقول حسن حنفي في ذلك: "تخترق اللّغات كلّها، في الأطراف وفي المركز، اللّغات الأوروبية بخاصّة الأنكليزية والفرنسية، إمّا حديثا أو تعبيرات أو مصطلحات، في لبنان وسورية والمغرب العربي تنتشر الفرانكفونية، وفي العراق، والأردن، والخليج، واليمن والسودان، ومصر تنتشر الأنغلوفونية، وعلى الرغم من وجود المقابل العربي، إلاّ أنّ التعبير أو المصطلح الأجنبي أيسر على اللّسان وأقرب إلى الذّهن، طبيعة واصطناعا، جهلا أو تكلّفا..."[7]. وهو ما يفسّر في تقديرنا لهذا الرّأي هيمنة المقترضات البذخيّة الواردة على العربية من اللّغتين الفرنسية والأنقليزية لعوامل استعمارية وسياسية وغيرها، سنعمل على ذكرها في عناصر لاحقة.

لذلك فإنّ ملاحظتنا للخطاب التربوي تؤكّد حضور مفردات علوم الاتّصال الحديثة ومصطلحاتها وما يتّصل بها من نصوص وأسانيد في مختلف المراحل التربويّة، وهو ما يعني أنّه من الممكن أن نعثر على مفردات من قبيل "أنترنيت"، و"إيميل"، و"كومبيوتر"، ونرصد عبارات تتّصل بميدان التصوير وأدواته نحو: "كاميرا" و"فوتوشوب" و"قاليري" وغيرها، ونعثر على مفردات تعود إلى العلوم الإنسانية من قبيل "إبستمولوجيا" و"أنطولوجيا" و"أكسيولوجيا"...إلخ، ونجد أنّ النصوص والأسانيد التربويّة التي تتداول في المراحل التّعليميّة المختلفة قد تضمّنت هي أيضا مفردات من الحياة العامة نحو "كوافير" و"كوفي شوب" و"سيتي سنتر"...إلخ، وذلك برغم وجود المقابل العربي نحو مفردة "شبكة الاتصال" أو "الشبكة العنكبوتية" لعبارة "الأنترنيت" ومفردة "الحاسب الآلي" لعبارة "الكمبيوتر" ومفردة "الهاتف" لعبارة "التلفون" وغيرها[8].

وهكذا تواترت المقترضات البذخية وغزت الخطاب التربوي بشكل أضحت فيه أصلا وصار الأصل فيه فرعا، فمثلا إذا نظرنا إلى عبارة "شكرا" وجدنا أنّ مفردتي "مارسي" و"ثانكيو" قد حلّتا عوضا عنها، وأضحتا بديلا يوميا وآنيا لها، وكذلك الأمر إن نظرنا إلى مفردات من قبيل "تالون" الذي نعني به في العربية عبارة "الكرة الكبيرة" ومفردة "بارون" وكلمة "فوت" وعبارات "بورصة" و"بوسطة" و"كبسولة" و"سلاطة" وغيرها.

وهذا في تقديرنا يفسّر دخول البديل الأجنبي في المتداول التربوي واقتحامه المعجم العربي وغزوه للمراحل التعليميّة المختلفة بديلا للمقابل العربي في اللّغة التربوية، فصارت بذلك مثلا المفردات الدّالة على الألوان بديلا للمصطلحات المعجميّة العربية في مجالات الفنون التشكيليّة والرسم، وأضحت المفردات التالية "مارون" (marron)، و"روج" (rouge) و"بيسطاش" (pistache)، و"باج" (peige)...إلخ، متداولة ومألوفة[9] رغم وجود مسميات للألوان في العربية.

ذلك أنّ ظاهرة الاقتراض البذخي وفق تقدير إيناس مزوغي تتواتر أيضا بخلاف الألوان في المقترضات الدّالة على الحالة والمظهر نحو: tranquille, costumé , trafiqué, parfumé, refusé...[10]، وهو ما يعني أنّ العبارات الفرنسية والأنقليزية تدخل في جمل عربية فتخلّ بها دون أن تثريها أو تسهم في إثراء المعجم العربي.

فالمزوغي قد لاحظت شيوع المفردات المقترضة بذخيا وغزوها كل الخطابات المكتوبة والشفوية سواء، فقد وجدنا أنّها قد عمدت في بحثها إلى محاولة حصر مفردات الاقتراض البذخي فألفتها منتشرة في جميع مجالات الحياة من معاملات إقتصادية واجتماعية يومية وسياسية وإعلامية وتواصل تربوي تعليمي أو غيره[11]، وهو ما يعني في تقديرنا لما لاحظناه من مفردات مقترضة بذخيا في اللّغة العربية أنّ كلّ البلدان العربية تشترك في معظمها نحو مفردات :"إيميل" و"أنترنيت" و"تالفون" و"واتساب"...إلخ، غير أنّ العربية التونسية تبقى متميّزة عنها ولها ما يفردها من مقترضات بذخية، يقول الطيب البكوش:"حلّ المقترضات المدروسة مشتركة بين البلدان العربية، لكن الكثير منها يخصّ العربية التونسية"[12].

ذلك أنّنا لو لاحظنا المقترضات البذخية المتداولة في المجال التربوي التونسي مثلا لوجدنا عبارات من قبيل:"اكسيكلي" في مقابل عبارة "رفت"، و"بياي" رديفا لمفردة "بطاقة دخول"، وعبارة "كوبي" في مقابل مفردة "نسخة"، و"تابلو" عوضا عن مفردة "سبورة" و"ستيلو" بديلا عن كلمة "قلم"...إلخ، تتواتر الحضور في المتداول التربوي اليومي وحتى ضمن حصص اللّغة العربية نفسها، وهذا في تقديرنا يعكس أثر الاقتراض البذخي من اللّغات الأجنبية في المستوى التربوي، وهو ما سنعرض إليه خلال عناصر لاحقة من بحثنا.

2-2/ اقتراض التراكيب والجمل:

نستقرئ الخطاب التربوي العربي (الشفوي والكتابي) فنلحظ تواتر تراكيب وجمل أجنبية ضمن لغته العربية بفعل آلية الاقتراض البذخي، فقد وجدنا مثلا أنّ تركيب "قيد الإنشاء" يعبّر عنه بتركيب "تحت الإنشاء" اقتداء بالتركيب الأنقليزي under construction والتركيب الفرنسي en construction بينما التركيب "أثناء التحليل الختامي" يعبّر عن التركيب العربي "في التّحليل النّهائي" محاكاة للتركيب الفرنسي en deniére analyse والأنقليزي in the funal analysis وتركيب "إذا فشلت" يعبّر عنه بتركيب "في حال فشلت" بالنظر إلى التركيب الأنقليزي in case it failed وعبارة "الخاتمة" يعبر عنها بالتركيب "المحصلة النهائية محاكاة للتركيب الأنقليزي end result ...إلخ[13].

فهذه التراكيب في تقديرنا استعمالات تركيبية خاطئة لا تراعي القواعد النّحوية في اللّغة العربية، وتقحم من قبل متكلّميها دون تعريبها، ويتمّ تحويرها صوتيا وإبدال حروفها اللاّتنية بحروف عربيّة، لذلك نجد تراكيب من قبيل: قتل الوقت tuer le temps/ passer le temps وتركيب الحب النظيف l'amour propre الذي يقابله في العربية تركيب الحب الطاهر أو الحب الصافي[14].

ومن التراكيب المقترضة بذخيا ويتم استعمالها بتحويل الأصلي اللاّتيني إلى حروف عربيّة نذكر أيضا ما لاحظناه من استعمال لتراكيب أنقليزية نحو "كوفي شوب" الذي يعنى به مفردة "مقهى" في العربية، وعبارة "بيبي" التي تقابل في العربية "طفل رضيع"، وتركيب

"سوبر ماركت" الذي يقابل في العربية تركيب "متجر كبير"، وتركيب "ويب سايت" أو "واب سايت" الذي يقابل التركيب العربي "موقع إلكتروني"، ومفردة "ديسكو" التي تقابل التركيب العربي "مكان تجمع الشباب للرقص وسماع الموسيقى"، ومفردة "شامبوا" التي تقابل التركيب العربي "سائل صابوني لغسيل الشعر"...إلخ[15]، وهو ما يعني حلول هذه التراكيب عوضا عن المقابل التركيبي العربي الصحيح وتداوله في الخطاب التربوي.

فما نلاحظه في شأن هذه التراكيب والجمل المقترضة بذخيا هو كونها لا تخضع عادة إلى الترجمة أو التعريب أو المجاز باعتبارها آليات توليد معجمي متعارف عليها في المعجم العربي ومتداولة بين علماء المعجم في اللّغة العربية[16]، وإنّما يقع تحويل حروفها اللاّتنية إلى حروف عربية يتمّ دمجها في جمل وتراكيب عربية مختلفة نحو: سَأرَاسِلُكَ عبر الإيميل، والتركيب الصحيح سَأُراسِلُكَ عبر البريد الإلكتروني، و"نَلْتَقِي فِي الكُوفِي شُوبْ"، والتركيب الصحيح "نَلْتَقِي فِي المَقْهَى"، و"بَضَائِعُ مُتَنَوِّعَةٌ فِي السُوبَرْ مَارْكَتْ"، والتركيب العربي الصحيح هو "بَضَائِعٌ مُتَنَوِّعَةٌ فِي المَتْجَرِ الكَبِيرِ"، وهو ما أثّر في اعتقادنا في اللّغة المتداولة بين الأطراف التربويّة وخصوصا المتعلّمين منهم.

غير أنّنا لاحظنا أنّ اللّغة العربية في تونس مثلا لم تكتف بالاقتراض البذخي من اللّغتين الفرنسية والأنقليزية بحسب ماذكرنا بل يقترض متكلّميها بشكل يومي من لغات أخرى كالإيطالية مثلا، إذ أنّه من الممكن أن نعثر على تراكيب أو مفردات تعادل تراكيب عربية مقترضة من الإيطالية نحو: "بانو" التي تقابل التركيب العربي "مغطس الحمام"، ومفردة "موضة" التي تعني في العربية "ما يستجدّ من طراز جديد في الملابس والأحذية وغيرها"، وعبارة "روبافيكا" التي تعني في العربية التونسية "الأشياء القديمة" أو "الملابس المستعملة" ...إلخ[17].

فاللّغة العربية بتونس في تقديرنا لم تكتف بالأخذ البذخي من اللغات الفرنسية والأنقليزية بل أخذت في ما لاحظنا من لغات لاتنيّة أخرى نحو الإيطاليّة والألمانية والإسبانية، ذلك أنّ المفترضات في تقدير إيناس المزوغي على اختلاف نوعها تعكس حركة مرور الكلمات وتكشف عبورها من لغة إلى أخرى ومن حضارة إلى أخرى وتبرز احتكاك اللّغات[18]، غير أنّ ما نلحظه في سياق تحليلنا لظاهرة الاقتراض البذخي في اللّغة العربية

ورصد أثرها في المستوى التربوي أنّ هذه الظاهرة قد تنامى حضورها في المتداول اللّغوي وبخاصة المتداول التعليمي لأسباب تتّصل بالإعلام، وتعود إلى الهيمنة الثقافية والسياسية وغيرها، وهو ما ولّد تأثيرات متعدّدة في المستوى التربوي ومتداوله اللّغوي، لذلك سنعمل على إثارة مظاهر تأثير هذه الظاهرة البذخية في اللّغة العربية والمستوى التربوي أساسا ونبرز أسبابها في العناصر اللاحقة من البحث.

3- عوامل تنامي ظاهرة الاقتراض البذخي في اللّغة العربية:

من الملاحظ في اعتقادنا أنّ ظاهرة الاقتراض البذخي من الظواهر المعجميّة الطارئة على الخطاب التربوي العربي لعوامل تعود إلى الإعلام وتتعلّق بالهيمنة الثّقافية والسّياسيّة وأخرى تتّصل بنفسيّة المتعلّم وتعود إلى ظروفه الاجتماعية، لذلك سنعرض في سياق هذا العنصر إلى هذه العوامل، ونحاول تحديدها وغايتنا في ذلك أن نبرز مدى إسهامها في تنمية ظاهرة الاقتراض البذخي في لغة الخطاب التربوي العربي.

3-1/ الخطاب الإعلامي وأثره في تنمية ظاهرة الاقتراض البذخي في اللّغة العربية:

يعدّ الخطاب الإعلامي في اعتقادنا من الوسائل المسهمة في تنمية ظاهرة الاقتراض البذخي في اللّغة العربية وتسرّب مفردات أجنبية في الخطاب التربوي العربي بشكل آني ويومي ودون خضوعها لقواعد الاقتراض الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. فـ"اللّغة الهجينة هي القاعدة واللّغة الفصحى هي الاستثناء"[19]. ذلك أنّنا قد لاحظنا أنّ وسائل الإعلام من تلفاز وراديو وفايسبوك وانترنيت ومجلات وجرائد تسهم في تسرّب المقترضات البذخية، وتفضي إلى تنامي لغة هجينة عوضا عن اللّغة العربية الفصحى في المستوى التربوي، فيصير الخطأ مألوفا ويصبح الصّحيح مهجورا، إذ تتولّد مفردات وتعابير أجنبية إلى جانب مفردات اللّغة الأصلية وتعابيرها، ومن ذلك ما تعلّق بالأفعال العباريّة، وهي الأفعال المقترنة بأدوات تتبعها وتتعدّى بواستطها، ولنا في ذلك أن نذكر منها مظهرين، الأوّل يتمثّل في تعدية الفعل بأداة والأصل فيه التعدّي بنفسه، والثاني تعدية الفعل بأداة غير التي يتعدّى بها ومثال المظهر الأوّل تعدية الفعل "أكّدَ" بالأداة "على" (أكّدَ على الخَبر) وأصله أن يتعدّى بنفسه (أكّدَ الخبر)، وهذا ناتج عن النسخ أو الترجمة الحرفية من الفرنسية (insister

sur) ومثال المظهر الثاني تعدية الفعل "أثّر" بالأداة "على" بدل تعديته بالأداة "في" والأصل "أثّرَ فيه القولُ" لا "أثّر علَيه" وهذا ناتج عن نسخ التركيب الفرنسي (inffuer sur)"[20].

لذلك فإنّ وسائل الإعلام تسهم في تقديرنا لما في عمليات النسخ الحرفي من مظاهر تجاوز لقواعد اللّغة العربيّة في دمج المفردات والعبارات الأجنبية في الخطاب التربوي وتفضي إلى تدني الحصيلة اللّغوية وتؤدّي إلى تسرّب الأخطاء اللّغوية والتركيبية في الخطاب التربوي ومتداوله اللّغوي، فالإعلام بوسائله المقروءة والمسموعة والمرئية سلطة كبيرة في كلّ مناحي الحياة وفي مقدّمتها اللّغة[21]، وهو ما يفضي في تقديرنا إلى انتشار ظواهر البذخ المعجمي ويسهم في تردّي اللّغة العربية في المستوى التربوي سيّما وأنّ الخطاب الإعلامي يلتقي في نظرنا مع عوامل أخرى كالعوامل النفسيّة والاجتماعية وغيرها، ويؤدّي إلى تفشي ظواهر الاقتراض البذخي في اللّغة العربية، وهو ما سنسعى إلى تحليله في العناصر اللاحقة.

3-2/ العوامل النّفسية والاجتماعية ودورها في الاقتراض البذخي:

نستقرئ المتداول اللّغوي الذي تحدث فيه المقترضات البذخيّة فنلحظ تأثير العوامل النفسيّة والاجتماعيّة في المتكلّمين الفاعلين ضمن المستوى التربوي ذلك أنّ "المتأمّل للواقع اللّغوي العربي اليوم يلحظ عدّة تغييرات متلاحقة أبرزها تفشي ظواهر لسانية في البيئة العربية الواحدة، ممثلة في التداخل اللّغوي، والازدواجية اللّغوية، والثنائية اللّغوية، والتعدّد اللّغوي وغيرها، التي أثرت بشكل مباشر على العربية"[22]، ولعلّ الاقتراض البذخي في تقديرنا من بين الظواهر اللّسانية الناتجة عن عوامل نفسيّة واجتماعيّة، فارتباط لغة بأخرى على اختلاف أشكاله يتّصل في تقدير مورو بالحالة النفسيّة والاجتماعيّة للمتكلم أساسا[23].

ذلك أنّنا لاحظنا أنّ المتعلّم قد يبحث عن المكانة والتفرّد والتميّز والخصوصية الذّاتيّة داخل الفضاء التربوي، فيدخل مقترضات بذخية في خطابه التعلّمي اليومي، إذ المتعلمون المتحدثون بلغة ما قد يشعرون بالحاجة إلى الاقتراض ليس بسبب عدم امتلاك لغتهم لكلمة للمفهوم أو الموضوع المعني في الكلام، ولكن لاعتقادهم أنّ الكلمة المساوية في اللّغة المنبع هي الأفضل مكانة والأعظم شأنا، وهو ما يفسّر في اعتقادنا تبنيّ اللّغات المحليّة في

المستعمرات الفرنسيّة بإفريقيا أعدادا ضخمة من المفردات والعبارات من اللّغة الفرنسية وذلك برغم وجود مصطلحات أصليّة تعبّر في هذه اللّغات عن معانيها[24]، ومن الممكن توظيفها في خطاباتها التربوية وتعويد متعلّميها على استعمالها ونطقها وكتابتها.

3-3/ التبعيّة الثقافيّة واللّغويّة ودورها في تنامي الاقتراض البذخي في اللّغة العربيّة:

بعد أن أشرنا في العنصر السّابق إلى دور العوامل النّفسية والاجتماعيّة في تنامي ظاهرة الاقتراض البذخي في اللّغة العربية، وأبرزنا أثرها في المستوى التربوي وحدّدنا إسهامها في تدني المحصلة اللّغوية وشيوع الأخطاء اللّغوية والتركيبيّة في نسيج اللّغة العربية ونظامها نبحث خلال هذا العنصر في أثر التبعيّة الثقافيّة واللّغويّة في تنامي هذه الظاهرة، محاولين في ذلك إبراز تأثيراتها التربويّة سيما في المستويات القيميّة والثقافيّة المحقّقة للهويّة العربية.

فما نلاحظه أنّ اللّغة تتّصل بالثّقافة والهويّة وتتأثّر بتأثّر ناطقيها بالظروف الثقافيّة والسياسيّة، فتونس وغيرها من البلدان العربيّة والإفريقية قد خضعت كما هو معلوم إلى حقبة استعماريّة تولّدت عنها تبعيّة لغويّة وثقافية تمظهرت أساسا في إلزاميّة تدريس لغة المستعمر (الفرنسية/ الأنقليزية) وضرورة استعمالها في مجالات التربية والإدارة والطب وغيرها ولقد ذكر حسن حنفي أنّ عامل تدريس اللّغة الأجنبية قد تكاتف مع عوامل الشعور بالنقص أمام الأجنبي المستعمر، فأسهم في انتشار المفردات والمصطلحات الأنقليزية والفرنسيّة في اللّغة العربية رغم وجود المقابل العربي. يقول: "في لبنان وسورية والمغرب العربي تنتشر الفرانكفونيّة وفي العراق والأردن والخليج واليمن والسودان ومصر تنتشر الأنغلوفونية وعلى الرغم من وجود المقابل العربي، إلاّ أنّ التعبير أو المصطلح الأجنبي أيسر على اللّسان وأقرب إلى الذّهن طبيعة واصطناعا، جهلا أو تكلّفا، وتدفع عقدة النّقص أمام الأجنبي إلى هذه الظاهرة لإخفائها أو لاستكمالها"[25].

وهذا في نظرنا يفسّر تكاتف العوامل النفسية مع ماهو ثقافي ولغوي لإعلاء شأن اللّغات الأجنبية في الأوساط التربويّة العربية وإثبات جدارتها في الخطاب التربوي اليومي مقابل اللّغة العربية الأم، ذلك أنّنا قد لاحظنا أنّ ظاهرة إقبال النّاشئة في العصر الحاضر على تعلّم اللّغات الأجنبية قد أضحت في جميع مجالات التعليم وفرضت في جلّ الخطابات

التربوية العربية، وهو ما يعني أنّ الصراع المرير الذي تعيشه العربية مع هذه اللّغات الأجنبية[26] قد ولّد في تقديرنا قصورا في الكفاءة اللّغوية لدى المتعلّمين داخل الفضاء التربوي وأسهم في ضعف الجانب القيمي والثّقافي وأفضى إلى اغتراب الفرد المتعلّم عن ثقافته ولغته في محيطه التربوي، ذلك أنّ النظر إلى الفرنسية مثلا بكونها لغة النخبة واعتبار العربية مقابل ذلك لغة العامّة التي لا تصلح إلاّ للشّعر ولا تجاري التقدّم والتّنمية[27]، قد أدّى في اعتقادنا إلى ضعف لغتنا العربية برغم ثرائها المعجمي، وأبعد المتعلّمين عن الإقبال على تعلّمها مقارنة بتعلّمهم للّغات الأجنبية الاستعماريّة.

بناء على ذلك نعتقد كون ظاهرة الاقتراض البذخي تؤسّس لتّبعيّة لغويّة ومعجميّة للغات أجنبيّة كالفرنسية باعتبارها لغة استعمارية والأنقليزية لكونها لغة استعمارية ثمّ لغة العصر، وهو ما ولّد ضغطا على اللّغة العربية وبات يهدّد كيانها المعجمي ويبعدها عن صميم الهويّة العربيّة، إذ لم تعد اللّغة العربية في نظرنا مع هذه الاختراقات المعجميّة التي تشوّش بناها اللّغوية والتركيبية قادرة على تجسيم مجموع الخصائص التي تميّز الجماعة العربية فلغة التعليم كما الخطاب الإعلامي والنفوذ الاستعماري والعولمة صارت تهدّد كيان العربية وقد تقصيها تدريجيا، وهو ما جعل امحمد جبرون يعتبر لغة التّعليم من التحدّيات التي تواجه الهويّة العربية في العصر الراهن إلى جانب العولمة ونفوذ النموذج الغربي[28]، وهذا يدعونا ضرورة إلى القول، أنّه لحماية لغتنا العربية وصون هويتنا لا بدّ في تقديرنا من اتّباع سياسة تربويّة تقي مجالاتنا التربوية من مظاهر الاقتراض البذخي، وتحمي تراكيب العربيّة وجملها ومفرداتها من العبارات الواردة في حشوها دون فائدة وبلا إفادة تذكر، اتباعا للخطابات الإعلاميّة غير المدروسة وافتخارا بالمنهج الغربي ولغته، وبما أنّ التربية مجال شديد الصّلة باللّغة فلا بدّ من ترشيد سياساتها التعليميّة وتوجيه الخطاب الإعلامي لإنتاج لغة عربيّة سليمة والابتعاد عن المقترضات البذخيّة التي لا تفيد متكلّميها بشيء دون استحضار المقابل المعجمي الصحيح.

وهنا نعتقد كون مصطلح الاقتراض البذخي قد لا يفي بتوصيف ما نلاحظه من انسلاخ لغوي في مستوياتنا التعليميّة وخطاباتنا التربويّة، أو في خطابنا الإعلامي المتلفز أو المكتوب أو الفايسبوكي، فقد بات خطابا هجينا لا يستجيب ومقتضيات ضرورة الحفاظ

على اللّغة باعتبارها المحدّد الأوّل لنجاحنا التربوي والتعليمي، فلا سلامة للغتنا العربية من هذا الانسلاخ إلاّ بترشيد الخطاب الإعلامي وتوجيهه لخدمة الخطاب التربوي، وضبط أسس برامجه وتوجهاته اللّغوية حفاظا على سلامة معجمها من المفردات المعبّرة عن الانسلاخ الثقافي والحضاري.

خاتمة:

خضنا خلال هذه الورقة العلميّة في ظاهرة الاقتراض البذخي في اللغة العربية، وأبرزنا مظاهرها اللّغوية والتركيبية، وأشرنا إلى نماذج من المفردات والتراكيب التي تعبّر عن البذخ اللّغوي، فخلصنا إلى خطإ إدماجها في الخطاب التربويّ ورصدنا تأثيرها السّلبي في المتعلّمين، فتبيّنا تأثيراتها اللّغوية والثقافيّة والتعليميّة، ثمّ طرحنا في سياق ثان أهم العوامل المسهمة في تنامي هذه الظاهرة المعجميّة، وبيّنا مدى تأثيرها في اللّغة العربية والهويّة، وقدّرنا في ختام بحثنا في أسباب هذه الظاهرة المعجميّة ضرورة التنّبه إلى السياسة التربويّة لحماية لغتنا وصون معجمها من ظواهر لا تعدو أن تكون سوى نشازا في النظام المعجمي ولا تحقّق المعنى والتّعبير المرجو خلال العمليّة التربويّة، ذلك أنّ عملية الاقتراض البذخي في تقديرنا لا تمتّ للحاجة المعجميّة بصلة وتختلف كما أشرنا سابقا خلال عناصر بحثنا عن ظاهرة الاقتراض الضروري الذي يخضع لقواعد نحوية وإملائية وصوتية ويسهم في تحويل المقترضات اللّغويّة من أصلها اللاّتيني أو الفارسي إلى المعجم العربي لتفيد دلالة وتحقّق قصدا.

والاقتراض البذخي بهذا المعنى عمليّة انسلاخ لغوي تفيد هجر مستعملي العربية لمفردات لغتهم واستعمالهم لمفردات غربيّة غير معرّبة من الفرنسيّة والأنقليزية والإيطاليّة وغيرها، وهو ما يجعل من خطاباتهم التربويّة والتعليميّة خطابات هجينة وتفتقر إلى قواعد سلامة اللّغة وشروط احترام المعنى المراد، ويعكس في اعتقادنا انسلاخات لغويّة معجميّة تعبّر عنها المقترضات المستعملة في الخطاب التربوي على سبيل البذخ والافتخار والتقليد لا الحاجة والضرورة.

الهوامش والإحالات

(1)– فتحي جميل: في مفهوم الاقتراض الدلالي، مجلة المعجمية عـ16. 17ـــــدد، جامعة منوبة، تونس 2001، ص205.(نسخة الكترونية).

(2)– الحبيب النصراوي: التوليد بالاقتراض في مصطلحات الصيدلة خلال القرن الثالث الهجري (التاسع ميلادي) تطبيق على كتاب المنصوري في الطب للرّازي، مجلة المعجمية، عـــ20 ـــدد، تونس 2004، ص83. (نسخة الكترونية)

(3)– ن. م

(4)– ن.م، ص83.

(5)– معجم المعاني الجامع، https : //www. Almaany.comdict,ar –ar

(6)– أحمد محمد المعتوق: الحصيلة اللّغوية: أهمّيتها– مصادرها– وسائل تنميتها، عالم المعرفة، أوت 1996، ص212.

(7)– حسن حنفي: الهوية والاغتراب في الوعي العربي، المركز العربي للدّراسات والأبحاث: اللّغة والهويّة في الوطن العربي: إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، ط1، 2013، ص196.

(8)– ن.م، ص197.

(9)- Ines mzouchi : intègration des emprunts lexicaux au français en arabe dialectal tunisien, halarchives- ouvertes.fr linguistique, université de cergy pontoise, français,2015,p284.

(10)- ibd, p285-286

(11)- Ibid ; p196-p290.

(12)- Taib baccouche : l'emprunts en arabe moderne, baïte al- hikma- cartage- institut bourguiba les langues vivantes, collection études et recherches, bulletin critique des annales, tunis,1994,p12. « les plupart des emprunts étudiés sont communs à tous les pays arabes, mais beaucoup sont spécifiques à l'arabe tunisien ».

(13)– عبد الرحمان السليمان: عبارات وتراكيب دخيلة، منتديات عتيدة، لغة ولسانيات، مراجع اللّغوي. www.atida.org, 9-9-2006

(14)– ن.م.

(15)– سكاي برس www.sky pres iq.net

(16)– جودي مرداسي: آليات توليد المصطلح: الاقتراض اللّغوي آليّة، مجلة الذّاكرة، العدد5، جامعة باتنة{دت}، ص285.

(17)– سكاي برس www.sky pres iq .net

(18)-Ines mzoughi : intégration des empurts lexicaux au français en arabe dialéctal tunisien, halarchives-ouvertes.fr, linguistique- université de cergy pontoise, français,2012,p14 « les emprunts supposent un mouvement de passage des mots d'une langue à une autre et d'une civilisation à une autre par suite d'un contact des langues».

(19)– ندى عود العمار: وسائل الإعلام ودورها في الحفاظ على اللّغة العربية: بحث المؤتمر الدولي الثالث للمجلس الدولي للّغة العربية: الاستثمار في اللّغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي، 7–10 ماي 2014، كلية الإعلام بغداد.

(20)– نمر مقنع: في الاقتراض المعجمي، منتديات جواهر ستار التعليمية، 11– 06– 2014. beber. ahlammada. Com T 55669 - Topic

(21)– كفاية الله محمد أشرف همداني أعوان: تأثير اللّغة الأنجليزية على اللغة العربية الإعلامية، ص315 .www.abgadi.net)dpzwwiwm

(22)– نور الدّين دريم: أثر التّداخل اللّغوي في العملية التعليمية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف الجزائر، {دت}، ص117.

(23)- Moreau ML: Sociolinguistique concepts de base, bruxelles, maragada, p94. «il faut distinguer entre la notion de contact de langues, correspond à un état individu, qui maîtrise selon «psyco-socio» linguistique plus d'un code, et celle de blinguisme, qui correspond d'advantage à un état collectif (la socioété)».

(24)– محمد أدام جبريل: ظاهرة الاقتراض بين اللّغات: الألفاظ العربية المقترضة في لغة الفور نموذجا المؤتمر الدّولي للغة العربية، 2005، ص13.

(25)– حسن حنفي: الهوية العربية والاغتراب في الوعي العربي، المركز العربي للدّراسات والأبحاث: اللّغة والهويّة في الوطن العربي: إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، ط1، 2013، ص196. (نسخة الكترونية).

(26)– أحمد محمد معتوق: الحصيلة اللغوية: أهميّتها، مصادرها، وسائل تنميتها، عالم المعرفة، عدد 212 أوت 1996، ص8 – ص16.

(27)– شماتة خير الدّين: إشكالية اللّغة العربية في الجزائر بين مخلّفات الاستعمار وضغط العولمة، المركز العربي للدّراسات والأبحاث، ط1، 2013، ص117.

(28)– امحمد جبرون: اللّغة والهويّة العربية في الوطن العربي: إشكاليات تاريخيّة وثقافية وسياسية، المركز العربي للأبحاث والدّراسات، ط1، 2013، ص51.